- **المحور الأول: مدخل إلى علم النفس النمو**
- **المحاضرة الأولى:ماهية علم النفس النمو:**
- **أهداف المحاضرة:**

- **أن بتعرف الطالب على مفهوم علم النفس والنمو وموضوعاته**
- **أن يدرك أهمية دراسة النمو**
- **أن يعرف النمو والمفاهيم المرتبطة به**

**تمهيد:**

يتسم علم نفس النمو بماضيه الطويل وتاريخه القصير، فمنذ( 1600- 1900) كانت هناك كتابات لمفكرين وفلاسفة أمثال **جون لوك John Lock** الذي أكد أهمية الخبرة والتعلم كمحدد أساسي للنمو، وعلى العكس يرى **جان جاك روسو Jean Jacque Rousseau** أن عملية النمو عملية طبيعية في المقام الأول، لا تعتمد على التأثير المباشر للوالدين بقدر ما تعتمد على الخصائص الوراثية التي يرثها الطفل من والديه، ثم يأتي **داروين Charles Darwin** الذي تحدث عن النشوء والتطور.

غير أن الظهور الحقيقي لعلم نفس النمو كان على يد الأمريكي **جون ستانلي هول Stanly Hull.** J الذي يطلق عليه والد علم نفس الطفل(1864-1924) وكان ذلك بنشره تقريرا عام 1883 عنوانه مضامين عقول الأطفال ،تميز بأنه أول دراسة منظمة يتم اجراؤها على عدد كبير من الأطفال، كما وضع **هول** البذرة الأولى لقياس الذكاء، ودفع بحركة علم نفس الطفل إلى الأمام في الو.م.أ.

أما في القرن العشرين فقد ظهرت أبحاث كثيرة في علم نفس النمو على يد علماء ومفكرين على اختلاف مشاربهم ؛ ففي المنحى الأمبريقي لعبت أبحاث **بينيه و جيزل Binet & Gezell** دور كبير في تطور هذا العلم، حيث تميزت أبحاثهما بالدقة في استخدام المنهج.كما فعلت ذلك نظريات عديدة في المنحى المقابل كنظريات التعلم لـ **Hull- Skiner** ،والنظريات الاثنولوجية (العضوية) التي انبثقت من خلال نتائج البحوث و الدراسات التي أجريت على الحيوانات بهدف الكشف عن المحددات البيولوجية للسلوك.من أشهر أصحاب هذا الاتجاه Lorens Tinbergen .

و تتوسط هذه النظريات نظريات أخرى من حيث اهتمامها بجانبي الوراثة و البيئة ، مثل نظرية **بياجيه Piaget**، ونظرية **إيريكسونErikson.....**

وطبعا فقد لعب التطور العلمي و التكنولوجي في تطور علم نفس النمو من خلال انتباه العلماء إلى طرق معالجة المعلومات لدى الفرد، وطرق تفكيره بالإضافة إلى الوسائل التي وفرتها التكنولوجيا ،بدورها أعطت دفعا كبير لـعلم نفس النمو على غرار العلوم الأخرى، فكما هو متفق عليه فإن العلاقة بين مختلف العلوم ،علاقة أخذ وعطاء. وبالتالي فإن هذه العلوم وعلم نفس النمو قد وفروا لنا ما ما يعيننا على فهم أنفسنا وفهم الطفل و تطوره ، والاستفادة من ذلك في جميع مناحي الحياة تربية، وقاية، وعلاجا في حال وجود اختلالات في مسار النمو وحدوث المشكلات النمائية.

**تعريف علم نفس النمو:**

هو العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي، وما وراءه من عمليات عقلية، دوافعه و ديناميات و آثاره، دراسة علمية يمكن على أساسها فهم و ضبط السلوك و التنبؤ به و التخطيط له.

ويعرف علم نفس النمو على أنه فرع من فروع علم النفس، الذي يهتم بدراسة التغير الذي يطرأ على سلوك الانسان عبر مراحل العمر المختلفة منذ لحظة الاخصاب وحتى لحظة الوفاة، حيث يتعدى وصف الظاهرة إلى محاولة تفسير التغيرات عن طريق اكتشاف القوانين و المبادئ والنظريات المفسرة لجوانب السلوك المختلفة.

**موضوع علم نفس النمو:** يهتم علم النفس النمو بالبعد الزمني ؛أي أنه يهتم بدراسة ما يحدث للظاهرة السلوكية من تغير وتطور على طول الرحلة الزمنية التي تقطعها الحياة الانسانية.
قال تعالى : ﴿و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين **(12)** ثم جعلناه نطفة في قرار مكين **(13)** ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين **(14)** ﴾ **المؤمنون** (14-12)
إذن يهتم علم نفس النمو بوجه خاص بدراسة الكائن البشري عبر مراحل نموه المختلفة ومدى تفاعل العوامل الوراثية التي يولد الطفل مزود بها،مع العوامل البيئية المحيطة به من حيث اشباع حاجاته الجسمية و الاجتماعية و العقلية و الوجدانية و الأخلاقية ،و تأثيراتها فيه وفي نموه العام ، إذ أن هذا العلم يهدف إلى التعريف بالأسس العامة للنمو و كذا معاييره ،كما يقدم معلومات هامة حول سلوك الأطفال و نموهم، مما يساعد القائمين على رعايتهم على تفهم و تقييم مسار النمو و اقتراح السبل التي من شأنها تسهيل النمو الطبيعي السليم لديهم، إلى جانب اهتمامه بدراسة أساليب التوافق الشخصي و الاجتماعي و الانفعالي و ما يؤثر في هذا التوافق.

**العوامل المؤثرة في النمو:**
بما أن عملية النمو هي نتاج لتفاعل عمليتي النضج والتعلم فإنها تتأثر بعديد من العوامل الداخلية والخارجية، الوراثية العضوية والبيئية، وفي كل جانب من هذه الجوانب يمكننا أن نبين اهم هذه العوامل باختصار:
**العوامل الوراثية العضوية:**
تعني الوراثة انتقال الصفات من الآباء والأسلاف إلى الأبناء، وتؤثر الوراثة تأثيرا يالغا في العضوي للفرد ووظائف أعضائه الداخلية وخاصة الغدد الصماءالتي تفرز هرمونات هي بدورها تؤثر في جميع مظاهر النمو المختلفة. ومن العوامل الوراثية والعضوية التي لها تأثير مباشر في نمو الأفراد مايلي:
- الجينات والعوامل المؤثرة فيها.
- ناقلات الوراثة السائدة والمتنحية.
- الغدد الصماء والقنوية.
- عامل الريزوس (فصيلة الدم)

**العوامل البيئية:**
يمكن تعريف البيئة على أنها كل المثيرات الخارجية التي يتفاعل معها الفرد، وهي تشمل بذلك النواحي المادية والثقافية والاجتماعية، ولها القدرة على على تحديد أنماط سلوك الفرد تجاه مواقف الحياة. ومن العوامل البيئية مايلي:
- الغذاء.
- المستوى الاجتماعي والثقافي للأسرة. - علاقة الطفل بالثقافة.
- علاقة الطفل بأسرته. - أعمار الوالدين.
- ترتيب الطفل الميلادي. - التعليم الذي يتعرض الطفل.

**أهمية دراسة النمو:**
تحضى دراسة النمو بأهمية كبرى لدى العديد من الفئات و الأفراد ؛كالدارس و الممارس،بل تتعدى ذلك إلى الأولياء و المربين وكل من له مسئولية في تربية وتنشئة الأبناء.فهي تزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية و لعلاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها و ذلك من خلال:-
- التعرف على تأثير كل من العوامل الوراثية و البيئية على النمو، مما يؤدي إلى توفير العناصر المساعدة لتلك العوامل على تأدية عملها في أحسن الظروف و تحقيق أفضل النتائج الإيجابية التي يمكن توقعها.

- تؤدي إلى تحديد معايير النمو في كافة مظاهره و خلال مراحله المختلفة. والتي تشير إلى متوسطات أعمار الأطفال الذين يستطيعون القيام بمهارة معينة في وقت معين
- تؤدي إلى معرفة مبادئ وقوانين النمو، التي بدورها تؤدي إلى فهم وتفسير كثير من مظاهر السلوك.
-تفيد في فهم الكثير من التغيرات التي تطرأ على السلوك عبر المراحل المختلفة، حتى يتمكن الفرد من التوافق مع هذه التغيرات.(المراهقة مثلا)

**ماهية النمو:** لا يخرج مفهوم النمو في السلوك الانساني عن ذلك المفهوم العام للنمو،فالسلوك ما هو إلا مجموعة من النشاطات التي يقوم بها الانسان (جسمية،عقلية،...)، وهو يخضع لمجموعة من التغيرات المتتابعة التي تسير حسب أسلوب ونظام متكامل أثناء مرور الفرد بمراحل زمنية متعاقبة. وقد اصطلح على تسمية هذه التغيرات المتتابعة بالنمو.

**مفهوم النمو:**

**لغة:** هو الزيادة: حيث جاء في لسان العرب لابن منظور نما ينمي نميا- ونماء،وقالوا ينمو نموا بمعنى زاد الشيء وكثر، وأنميت الشيء ونميته جعلته ناميا. وفي المعجم الوسيط نما الشيء نماء أي زاد و كثر ويقال نما الزرع ونما الولد.

**اصطلاحا:** يعرف **جيزل Gesell** النمو:" بأنه عبارة عن سلسلة متصلة من التغيرات ذات نمط منتظم مترابط. وهو ليس محددا بزيادة الحجم فحسب، ولكنه يتكون من تغيرات مختلفة وإن كانت جميعها ليست من نفس النوع."

ويعرفه **باتسون Bateson** على أنه سلسلة من التغيرات الكمية والنوعية تحدث للكائن البشري منذ تكون الخلية الأولى، وتتضمن هذه التغيرات الكمية النمو الجسمي كالطول والوزن ونمو الأعضاء المختلفة ونمو التكامل التكويني لمختلف الأعضاء الجسدية، وتتزامن هذه التغيرات في النمو الجسمي مع تغيرات وظيفية في السلوك وفي العمليات العقلية والاجتماعية والانفعالية التي يظهرها الطفل في مختلف مراحل النمو.

بناءا على هذا فإن هذه التغيرات تنقسم إلى قسمين ؛كمية ونوعية،كما يمكن تمييز الأبعاد التي يحدث فيها التغير كمايلي: - التغير في الأبعاد الطبيعية – التغير في مقدار الظواهر السلوكية – التغير في النسب – التغير من حيث اختفاء خصائص قديمة وظهور أخرى جديدة _ التغير في معدلات التغير – التغير في ما يستطيع الفرد أن يقوم به من واجبات.

**مفاهيم مرتبطة بالنمو**: تشكل بعض المفاهيم اللبنة الأساسية في علم نفس النمو لذلك فإن توضيحها يساعدنا في فهم ظاهرة النمو والعوامل المحيطة بها.

**التطور:** هو سلسلة التغيرات الكيفية التي يتجه فيها الفرد نحو مزيد من التقدم.

**النضج:** يشير مفهوم النضج إلى انبثاق أو تفتح الاستعدادات البيولوجية والوراثية للطفل في سن معينة. ويتضمن النضج عمليات النمو الطبيعي التلقائي التي يشترك فيها الأفراد جميعا و التي تنتج عن تغيرات منتظمة في سلوك الفرد بصرف النظر عن أي تدريب أو خبرة سابقة.

**التعلم:**ويشير إلى التغير الذي يطرأ على السلوك بفعل عوامل الخبرة أو التدريب، وتتعدد الأساليب التي يكتسب بها الطفل مهاراته المختلفة ؛ فقد يتعلم من خلال التقليد و المحاكاة، أومن خلال التوحد (identification) و يعني تمثل الطفل لعادات و قيم الآخرين ،أو من خلال التدريب.

**التفاعل بينهما:**لا يمكن أن يُحدث النضج من تلقاء نفسه خصائص سلوكية للفرد، بل يوفر للفرد الاستعداد للتعلم من خلال الخبرة والتدريب، كما أن للإستثارة الحسية دورا كبيرا في عملية النضج.و من نتائج الدراسات القائمة حول العلاقة بين النضج و التعلم مايلي:

- أن تعلم خاصية معينة يكون أكثر سهولة إذا وصل الفرد إلى مستوى النضج المناسب
- التعلم قبل الوصول إلى مستوى النضج المناسب لا يؤدي إلى تعلم السلوك، و التأخر في التعلم يؤدي إلى حدوث مشكلات في النمو.

**الفترة الحرجة:** تظهر فترات النمو الحرجة عبر مراحل الطفولة وهي بطبيعتها عابرة، هكذا فإن الفترات الحرجة هي عبارة عن تفجرات طبيعية، وهي الزمن الأكثر ملاءمة لحدوث اكتساب ما. مايؤدي إلى القول أنه إذا تعذرت على الطفل الاستجابة لتوجيهات فترته الحرجة فإن فرصة من فرص التمكن الطبيعي قد ضاعت منه و بلا رجوع.فالفترات الحرجة تمثل محطات ذهبية ومنارات موجهة لمسار نمو الطفل.